

(١)

ضوابط الأسواق وآدابها

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا
اكتالوا على الناس يستوفون * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزُّوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ
أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } ، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله ، اللهم صل
وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن الله (عز وجل) قد شرع لعباده البيع والشراء وصولاً إلى الغرض ، ودفعاً
للحاجة ، حيث يقول سبحانه : { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } ، ولقد جرت عادة
الناس منذ الأزل على إقامة الأسواق التي يتبادلون فيها منافعهم ، ويحققون من
خلالها مصالحهم ، وجاءت آيات الذكر الحكيم لتبين أن ذلك سمة من سمات البشر ،
حيث يقول سبحانه : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ
وَيَمْسُوكَ فِي الْأَسْوَاقِ } ، وحكى القرآن الكريم قول المشركين عن رسول الله (صلى
الله عليه وسلم) : { وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ } ، وفي
قصة أصحاب الكهف يقول سبحانه حكاية عن حالهم : { فَابْتَغُوا أَحَدَكُمْ بَيْرَقِكُمْ هَذِهِ
إِلَى الْمَدِينَةِ فليُنظَرُ أَيُّهَا أَرْكَى طَعَامًا فليَأْتِكُمْ بَرِزْقٍ مِنْهُ } .

ومما لا شك فيه أن أحوال الأسواق أحد أهم مظاهر التطبيق العملي للإسلام
الحقيقي ، فإذا أردت أن تعرف أثر العبادة في السلوك فاذهب إلى الأسواق ، وإذا
أردت الحكم على صدق التدين أو كونه تديناً شكلياً فعليك بمعرفة أحوال الشخص
في معاملاته بيعاً وشراءً ، لذلك عندما شهد رجل شهادة عن سيدنا عمر بن الخطاب
(رضي الله عنه) فقال له سيدنا عمر : لست أعرفك ولا يضرك أن لا أعرفك ، فأبى
يعرفك . فقال رجل من القوم : أنا أعرفه . فقال : بأي شيء تعرفه ؟ قال : بالعدالة

(٢)

والفضل . قال : فهو جارك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه ؟ قال : لا . قال : فمعاملتك في الدينار والدرهم اللذين يستدل بهما على الورع ؟ قال : لا . قال : فرفيقتك في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ، قال : لا . قال : لست تعرفه . ثم قال للرجل : ائت بمن يعرفك .

فالمعاملات - بيعا وشراء - تُظهر صدق التدين من كذبه أو شكليته ، فيتجلى من خلالها التدين الشكلي أو التدين الفعلي ؛ وكم من ذاك بلسانه ليوهم الناس ويخدعهم ، وهو أبعد ما يكون عن الذكر ! وكم من متخف خلف صورة المتدين رياءً وسمعة ، ووسيلة للتكسب ، لترويج بضاعته ، معتمداً على حب الناس للدين ، وثقتهم في أهله .

ومن تلك الصور المزيفة أيضاً : إطلاق بعض الأسماء التي لا تنطبق على مسمياتها ، قصد إيهام الناس بالتدين أو المتاجرة به ، مع كون الأمر في الحقيقة على غير ذلك ، ليجني كسباً ومالاً ، وهو بذلك يضر دينه ، ويشكل صورة سيئة في نفوس الناس ، قال تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } .

ولقد جعل الإسلام للأسواق آداباً وضوابطاً ينبغي أن يتحلى بها المسلم في بيعه وشرائه ، منها : ذكر الله تعالى وحسن مراقبته ، فذكر الله يلتزمه المسلم في كل حال ، ويكون باللسان والجوارح ، فللسوق دعاء يقوله المسلم أو المسلمة قبل الدخول ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، يَدِيهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، وَمَحَا عَنْهُ

أَلْفَ سَيِّئَةٍ ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) ، على أننا نوكدُ أن ذكر الله لا يكون باللسان فقط ؛ وإنما يكون - أيضًا - بحسن مراقبة الله تعالى في تحري الحلال والبعد عن الحرام.

ومنها : **الصدق واجتناب الكذب** : فالأصل أن المسلم صادق في كل حال ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } ، ومنها حال البيع والشراء في الأسواق ، فلا يجوز للمسلم أن يكذب ليروج لسلعته ، فإن هذا الترويج الكاذب للسلعة يكون سببًا في محق البركة في الدنيا ، والطرده من رحمة الله تعالى في الآخرة ، ويشدد الإثم ويعظم إذا سولت له نفسه أن يقسم كاذبًا ليستحلَّ مال غيره ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لُهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سَلْعَةٍ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ) ، وفي رواية : (الْمُنْفِقُ سَلَعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ) ، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ، وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ ، لِيَقْتَطَعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ) ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول لأصحابه : (إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلْفِ فِي الْبَيْعِ ، فَإِنَّهُ يُنْفِقُ ، ثُمَّ يَمْحَقُ).

كذلك من الآداب والضوابط : **الأمانة والتراضي وعدم الغش** ، والأمانة تقتضي الوضوح الكامل في البيع والشراء حتى يتحقق الرضا التام بين الطرفين ، يقول سبحانه : {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ} ، ولقد قال النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ (رضي الله عنه) : (إِذَا ابْتَعْتَ فَآكْتَلْ ، وَإِذَا بَعْتَ فَكَيْلْ) ، وَعَنْ

(٤)

السَّائِبِ (رضي الله عنه) قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَجَعَلُوا يُثْنُونَ عَلَيَّ وَيَذْكُرُونِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنَا أَعْلَمُكُمْ) ؛ يَعْنِي بِهِ ، قُلْتُ : صَدَقْتَ يَا بِي أَنْتَ وَأُمِّي : كُنْتَ شَرِيكِي فِينِمْ الشَّرِيكُ ، كُنْتَ لَا تُدَارِي ، وَلَا تُمَارِي .
ولقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحاب الضمائر الفاسدة التي لا تراقب ربها ، وحذر كل من تسول له نفسه الخبيثة خداع الناس وأكل أموالهم بالباطل من الغش فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) .

كما وجه (صلى الله عليه وسلم) الشركاء إلى أن تكون الأمانة والصدق هي أساس الشراكة بينهما ، فقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَقُولُ اللهُ : أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنَهُمَا) .

ومن الآداب كذلك: **عدم تطفيف الكيل والميزان** ، والتطفيف معناه: الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن منهم ، والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم ، ويلحق بالوزن والكيل ما أشبههما من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس ، فالله (عز وجل) أمر بإقامة الوزن بالقسط في كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} ، وتوعد سبحانه من فعل ذلك فقال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} .

وقد حذر نبي الله شعيب (عليه السلام) قومه من بخس الناس أشياءهم والتطفيف في المكيال والميزان ، كما حكى ذلك القرآن الكريم ، فقال تعالى : {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} .

ومن آداب السوق : **عدم التعدي على حقوق الآخرين** ، ومن ذلك نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أن يبيع الإنسان على بيع أخيه ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ، وَلَا يَسُومُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ ، حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ أَوْ يَتْرُكَ) ، وذلك من الأدب الرفيع في البيع والشراء ، فلا يزايد على من يشتري سلعة ، وكذلك لا ينفر من سلعة أخيه فيعيبها حتى يبيع سلعته.

ومن صور التعدي على حقوق الآخرين الاحتكار الذي يمثل تلاعباً بأقوات الناس ، ويضر بالبلاد والعباد ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ) ، فالمحتكر شخص غلبته أنانيته فاختر الأثرة على الإيثار ، وتناسى أن الربح الزائد الذي يجنيه ويتحصل عليه من احتكاره واستغلاله هو مال حرام ، وهذا المال الحرام السحت مدمر له في الدنيا وسبب للجنة والطرده في الآخرة حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ، ضَرَبَهُ اللَّهُ بِالْجُدَامِ وَالْأَفْلَاسِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَرِئَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ، وَأَيُّمَا أَهْلٌ عَرَصَةَ أَصْبَحَ فِيهِمْ أَمْرٌ جَائِعٌ ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى) .

على أننا نؤكد أن الرقابة على الأسواق من الولايات العامة للدولة ، وأنه يجب التعاون مع كل الأجهزة المعنية لمنع كل جرائم الغش والاحتكار واستغلال المستهلك ، لأن القضاء على هذه الظواهر السلبية يسهم بقوة في تحقيق الأمن النفسي للمجتمع ، ويسهم في دفع عجلة الاقتصاد الجاد وفي التميز والإتقان محليا ودوليا ، أما الغش فباب واسع من أبواب الفساد وتدمير اقتصاديات الدول .

(٦)

كما أننا نؤكد على أن الإشراف على الأسواق ومراقبتها أمانة كبيرة ، ومسئولية عظيمة في أيدي كل من كلف بمهمة من مهامها ، وإن الله عز وجل سائل كل إنسان عما كلف به أحفظ أو ضيع .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

إخوة الإسلام :

إن أمن الناس في طعامهم وشرابهم وحوادثهم قضية مجتمعية وإنسانية تأتي على رأس الأولويات في حقوق الإنسان ؛ إذ لا يمكن تصور حياة كريمة بدون أن يكون الإنسان آمناً على غذائه ودوائه ، فيجب أن تتضافر الجهود في مواجهة جميع ظواهر الغش والاحتكار ولا سيما ما يتصل بشئون الغذاء والدواء .

على أن التاجر الفاهم لدينه يظهر أثر عبادته من صلاة وصيام ، وغيرها في صدقه وأمانته ، فرب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر ، وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بعلو منزلة التاجر الصدوق الأمين ورفعة درجته فقال (صلى الله عليه وسلم) : (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ أَطْيَبَ الْكَسْبِ كَسْبُ التُّجَّارِ الَّذِينَ إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَكْذِبُوا ، وَإِذَا اتُّمِّنُوا لَمْ يَخُونُوا ، وَإِذَا وَعَدُوا لَمْ يُخْلِفُوا ، وَإِذَا اشْتَرَوْا لَمْ يَدْمُوا ، وَإِذَا بَاعُوا لَمْ يُطْرُوا ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْهِمْ لَمْ يَمْطُلُوا ، وَإِذَا كَانَ لَهُمْ لَمْ يُعَسِّرُوا) .

(٧)

كما أخبر (صلى الله عليه وسلم) أن التاجر الصدوق في ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله، قال (صلى الله عليه وسلم): (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

فما أحوجنا إلى أن نتعاون معاً من أجل المصلحة العامة الشاملة التي نحصد ثمارها جميعاً ، فينظر كل واحد لأخيه بعين الرحمة ، ويحب له ما يحب لنفسه ، فيصدق البائع المشتري وكأنه هو المشتري ، ويصدق المشتري البائع وكأنه هو البائع، وهذا هو دليل الإيمان ، حيث يقول (صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) .

اللَّهُمَّ اغْنَا بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَاكْفِنَا بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .